بَابُ قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية

وقوله: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ رواه البخاري والنسائي.[٢٨٥]

مقصود هذا الباب بيان أن التوكل من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، فالواجب على العبد أن يتوكل على الله جل وعلا، قال سعيد بن جبير رحمه الله: التوكل على الله عز وجل جماع الإيمان.[٢٨٦]

والتوكل على الله تعالى معناه: الاعتماد على الله تعالى كفاية، وحسباً في جلب المنافع، ودفع المضار، وهو من تمام الإيمان، وعلاماته، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]

وفي الباب الوقفات الآتية:

---

٢٨٥ . صحيح البخاري (٤٥٦٣).

٢٨٦ . الزهد لهناد السري (١/٣٠٤).

الوقفة الأولى: علاقة التوكل بالتوحيد.

علاقة التوكل بكتاب التوحيد فيما يظهر لي من وجهين:

الأول: أن الإيمان والتوحيد لا يتم إلا بالتوكل كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ومن كمل في إيمانه وتوحيده سلم من الشرك.

والثاني: أن ضعف التوكل لدى العبد يؤول به إلى الشرك بالله تعالى، وذلك أن العبد إذا صدق في توكله على الله جل وعلا كفاه الله تعالى أمور الدنيا والدين ويسر له حوائجه ودفع عنه أنواع الضرر.

وعندما يضعف التوكل ويحتاج العبدُ أمراً من أمور الدنيا، فإنه يلتفت بقلبه وجوارحه إلى غير الله تعالى في جلب المنافع ودفع المكاره.

الوقفة الثانية: في بيان أنواع التوكل.

التوكل أربعة أنواع:

الأول: التوكل على الله تعالى، وهذا من واجبات الإيمان ومكملاته. وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله،وأنه ما شاء كان،وما لم يشأ لم يكن، وأنه النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبد هذا العلم، وهذا الاعتماد، والثقة، فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو مشرك، ومن توكل على غير الله وتعلق به وُكِلَ إليه وخاب أمله.[٢٨٧]

الثاني: توكل السِّر، بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة، أو دفع مضرة، فهذا شرك أكبر، لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً في الكون، ولا فرق بين أن يكون الميت نبياً، أو ولياً، أو طاغوتاً عدواً لله تعالى.

الثالث: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير، مع الشعور بعلو مرتبته، وانحطاط مرتبة المتوكل عنه، مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش، ونحوه، فهذا نوع من الشرك الأصغر، لقوة تعلق القلب به، والاعتماد عليه.

أما لو اعتمد عليه على أنه سبب، وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده، فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصوله.

الرابع: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكل، بحيث يُنيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة، فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب والسنة والإجماع.[٢٨٨]

الوقفة الثالثة: في التوكل وفعل الأسباب.

التوكل عند أهل السنة والجماعة مرتبط بعمل الأسباب التي أمر الله تعالى بالقيام بها.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ينبغي للناس كُلِّهِم (يتوكلون) على الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن يعودون

٢٨٧ . انظر: نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٢٩٤). والقول السديد للسعدي (١٠١).
٢٨٨ . انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين (٦/٥٤).

أنفسهم بالكسب، فمن قال بخلاف هذا القول فهذا قول إنسان أحمق.[٢٨٩]

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فالتوكل والحسب بدون قيام الأسباب المأمور بها عجز محض، فإن كان مشوباً بنوعٍ من التوكل، فهو توكُّل عجز، فلا ينبغي للعبد أن يجعلَ توكُّلَهُ عجزاً، ولا يجعلَ عجزَه توكلاً، بل يجعل توكُّلَه مِن جملة الأسباب المأمور بها التي لا يَتِمُّ المقصودُ إلا بها كلِّها.

ومن هاهنا غلط طائفتان من الناس، **إحداهما**: زعمت أن التوكلَ وحده سبب مستقلّ كافٍ في حصول المراد، فعطَّلت له الأسبابَ التي اقتضتها حِكمةُ اللَّه الموصلة إلى مسبّباتها، فوقعوا في نوع تفريط وعجز بحسب ما عطَّلوا من الأسباب، وضَعُفَ توكُّلُهم من حيث ظنوا قوتَه بانفراده عن الأسباب، فجمعوا الهمَّ كُلَّه وصيَّروه هماً واحداً، وهذا وإن كان فيه قوة من هذا الوجه، ففيه ضَعفٌ من جهة أُخرى، فكلما قوي جانبُ التوكل بإفراده، أضعفه التفريطُ في السبب الذي هو محلُّ التوكل، فإن التوكلَ محلُّه الأسباب، وكمالُه بالتوكل على اللَّه فيها، وهذا كتوكل الحرَّاثِ الذي شق الأرض، وألقى فيها البِذر، فتوكل على اللَّه في زرعه وإنباتِه، فهذا قد أعطى التوكُّل حقه، ولم يضعُف توكُّله بتعطيل الأرض وتخليتها بوراً، وكذلك توكُّل المسافر في قطع المسافة مع جِدِّه في السَّيْرِ، وتوكُّل الأكياس في النجاة من عذاب اللَّه والفوزِ بثوابه مع اجتهادهم في طاعته، فهذا هو التوكلُ الذي يترتَّبُ عليه أثرُه، ويكون اللَّهُ حَسْبَ مَن قام به. وأما توكلُ العجز والتفريطِ، فلا يترتبُ عليه أثرُه، وليس اللَّه حَسْبَ صاحِبه، فإن اللَّه إنما يكون حَسْبَ المتوكِّل عليه إذا اتّقاه، وتقواه: فعلُ الأسباب المأمور بها، لا إضاعتُها.

والطائفة الثانية: التي قامت بالأسباب، ورأت ارتباطَ المسبّبات بها شرعاً وقدَراً، وأعرضت عن جانب التوكل، وهذه الطائفةُ وإن نالت بما فعلته من الأسباب ما نالته، فليس لها قوةُ أصحابِ التوكل، ولا عونُ اللَّه لهم وكفايتُه إياهم ودفاعُه عنهم، بل هي مخذولةٌ عاجزة بحسب ما فاتها من التوكّل.

٢٨٩ . الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/٢٧٠).

فالقوّةُ كلُّ القُوَّة في التوكل على الله كما قال بعضُ السَلَف: مَن سرَّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، فالقوةُ مضمونة للمتوكِّل، والكفاية والحَسْبُ والدفع عنه، وإنما يَنْقُصُ عليه من ذلك بقدر ما يَنْقُصُ من التقوى والتوكل، وإلا فمع تحققه بهما لا بد أن يجعل الله له مخرجاً مِن كُلِّ ما ضاق على الناس، ويكونُ اللَّهُ حسبَه وكافيه، والمقصودُ أن النبي ﷺ أرشد العبدَ إلى ما فيه غايةُ كماله، ونيلُ مطلوبه، أن يحرصَ على ما ينفعُه، ويبذُلَ فيه جهده، وحينئذ ينفعُه التحسُّب وقولُ: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، بخلاف مَن عجز وفرَّط حتى فاتته مصلحته، ثم قال: (حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكيلُ)، فإن الله يلومه، ولا يكون في هذا الحال حَسْبَه، فإنما هو حَسَبُ مَن اتَّقاه، وتوكَّل عليه.[٢٩٠]

٢٩٠ . زاد المعاد (٢/٢٦٤).

بَابُ قول الله تعالى:
﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

وقوله: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سُئل عن الكبائر فقال: ((**الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ**)).[٢٩١]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أكبر الكبائر: الاشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. رواه عبد الرزاق.[٢٩٢]

مقصود هذا الباب بيان أن الواجب على العبد أن يكون خائفاً من الله تعالى راجياً له، راغباً راهباً، إن نظر إلى ذنوبه وعدل الله وشدة عذابه خشي ربه وخافه، وإن نظر إلى فضل الله تعالى العام والخاص وعفوه الشامل رجاه وطمع فيما عنده، فالخوف والرجاء من أكبر أصول التوحيد، وواجبات الإيمان.

وفي الباب وقفتان اثنتان:

٢٩١ . قال الهيثمي في المجمع (١/٢٩٤/٣٩١): رواه البزار، والطبراني في الأوسط، ورجاله موثقون.
٢٩٢ . المصنف لعبد الرزاق (١٩٧٠١)، وقال الهيثمي في المجمع (١/٢٩٤/٢٩٢): وإسناده صحيح.

الوقفة الأولى: في التحذير من غلو الخوف أوالرجاء.

يجب على العبد الحذر من خصلتين:

إحداهما: استيلاء الخوف على العبد حتى يقنط من رحمة الله تعالى، ورَوْحِه، وهذا من كبائر الذنوب كما في حديث ابن عباس وابن مسعود اللذين ذكرهما المصنف رحمه الله.

والغلو في الخوف راجع إلى سببين:

إسراف العبد على نفسه وجرأته على محارم الله تعالى، فيقع بسبب ذلك في الإصرار على المعصية لقطعه الأمل في رحمة الله تعالى وهذا غاية من يريده الشيطان.

تغليب جانب الخوف بسبب المعصية مع ضعف العلم بالله تعالى وما عنده من الرحمة والمغفرة، فيظن أن الله لا يغفر له ولو تاب إليه؛ ومن هنا يجدر التنبيه على ما يطرحه بعض الوعاظ وأهل القصص من الأخبار التي أوقعت أو ساعدت في وقوع بعض العوام في القنوط من رحمة الله تعالى.

والخصلة الثانية: التمادي في الرجاء حتى يقع في الأمن من مكر الله تعالى.

والغلو في الرجاء والتمادي فيه يرجع إلى أمرين:

الاعراض عن الدين والغفلة عن معرفة رب العالمين وماله من الحقوق، والتهاون بذلك.

إعجاب العبد بعمله وهذا حال العابد الجاهل.[٢٩٣]

٢٩٣ . انظر: القول السديد للسعدي (٣٠).

الوقفة الثانية: في بيان حدّ الرجاء وأنواعه.

الرجاء حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله جَلَّ جَلَالُهُ، والدار الآخرة، ويطِّيب لها المسير.

والرجاء هو: الثقة بجود الله تعالى، ولا يصدق على العبد كونه راجياً إلا إذا وجدت فيه ثلاثة أمور:

١. **محبة ما يرجوه.**

٢. **خوفه من فواته.**

٣. **سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.**

ورجاءٌ لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب غرور الأماني.

والرجاء ثلاثة أنواع:

فالأول: رجاء رَجُلٍ عمل بطاعة الله تعالى على نور من الله، فهو راجٍ لثوابه.

والثاني: ورَجُلٍ أذنب ذنوباً ثم تاب منها، فهو راجٍ لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه، وهذا الرجاء والذي قبله من الرجاء المحمود.

والثالث: ورَجُلٍ متمادٍ في التفريط والخطايا، ويرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو التمني والغرور والرجاء الكاذب.

بَابٌ: مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ

وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَه﴾

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.[٢٩٤]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ)).[٢٩٥]

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ)).[٢٩٦]

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).[٢٩٧]

وقال ﷺ: ((إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ. وَإِنَّ اللَّهَ، إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ. فَمَنْ رَضِيَ، فَلَهُ الرِّضَى. وَمَنْ سَخِطَ، فَلَهُ السُّخْطُ)) حسنه الترمذي.[٢٩٨]

---

٢٩٤ . رواه ابن جرير في التفسير (٢٤١٩٤/١١٦/١٢)

٢٩٥ . مسلم في الصحيح (٦٧).

٢٩٦ . البخاري (١٢٢٦)، ومسلم (١٠٣).

٢٩٧ . رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وقال الألباني: حسن صحيح، وفي السلسلة الصحيحة له برقم (١٢٢٠).

٢٩٨ . الترمذي في جامعه (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وإسناده حسن، انظر: السلسة الصحيحة للألباني برقم (١٤٦).

مقصود هذا الباب بيان أن الصبر على أقدار الله تعالى من واجبات التوحيد ومكملاته، وأن الجزع والتسخط على أقدار الله تعالى من منقِّصات التوحيد.[٢٩٩]

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كُلُّه.[٣٠٠]

وفي الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان أنواع الصبر وكيفية تحقيقه.

الصبر أنواعٌ ومراتب، يتفاوت فيها الناس تفاوتاً عظيماً، وعندما سُئل ربيعة بن عبدالرحمن رحمه الله عن منتهى الصبر؟ قال: يكونُ يومَ تُصيبه المصيبة مثله قبل أن تُصيبه.[٣٠١]

والصبر ثلاثة أنواع:

١. صبر على طاعة الله تعالى، بأن يُؤدي الإنسان ما أمر الله تعالى به، وإن كان فيه مشقة عليه.

٢. وصبر عن معصية الله تعالى، فيجتنب ما نهى الله تعالى عنه، وإن كانت النفس تميل إلى الشهوات وتهواها، فإنه يصبر ويحبس النفس عن مواقعة الحرام.

٣. وصبر على أقدار الله المؤلمة، إن أصابه ما يكره صبر، واحتسب الأجر من الله تعالى، ومنع النفس عن التسخط والجزع.

---

٢٩٩ . انظر: إعانة المستفيد للفوزان (١٠٧/٢).

٣٠٠ . الزهد لوكيع بن الجراح (٤٥٦/٢).

٣٠١ . الدر المنثور (٣٧٨/١).

ويُمكن تحقيق الصبر بثلاثة أمور:

١. حبس النفس عن الجزع والسخط.

٢. حبس اللسان عن الشكوى للخلق.

٣. حبس الجوارح عن فعل ما ينافي الصبر، كالنياحة، وضرب الخدود، وشق الجيوب.[٣٠٢]

الوقفة الثانية: في بيان علاقة الصبر بالتوحيد.

علاقة الصبر بالتوحيد من جهتين:

الأولى: أن الصبر عبادة من أجل العبادات التي أثنى الله تعالى على من قام بها ووعدهم بالبشرى، فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]

والثانية: أن قلة الصبر على المصائب أوقع كثيراً من الناس في الشرك بالله تعالى.

الوقفة الثالثة: في بيان حال الناس مع المصائب.

مما لا شك فيه أن من رزق الصبر فقد رُزق الخير كُلَّه، وطابت له حياته، قال عمر رضي الله عنه: وجدنا خير عيشنا الصبر.[٣٠٣]

وللناس مع المصائب أربعة أحوال:

١. **السخط**، وهو ضد الصبر، وهو محرم ومن كبائر الذنوب كما في أحاديث كثيرة.

٣٠٢ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٣٩٣)، وإعانة المستفيد للفوزان (٢/١٠٨-١٠٩).

٣٠٣ . عدة الصابرين لابن القيم (١٢٤).

٢. **الصبر على المصائب**، وهذا هو الواجب على المسلم.

٣. **الرضى بالمصائب**، والصحيح أنه مستحب وليس بواجب كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٤. **الشكر على المصائب**، وهو قوله بلسانه: الحمد لله.

ومن أراد أن يعرف حال أهل التوحيد عند المصائب والضراء، فإنه يجد أنهم بين ثلاثة أحوال بالآتي:

١. **صبرٌ بمعناه الكامل على أقدار الله المؤلمة.**

٢. **حسنُ ظنٍ بالله تعالى.**

٣. **التجاءٌ إلى الله تعالى، وسؤاله العافية، والمثوبة على ذلك.**

بَابٌ: مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ الآية.

وعن أبي هريرة مرفوعاً: ((**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**)) رواه مسلم.[٣٠٤]

وعن أبي سعيد مرفوعاً: ((**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**)) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: ((**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**)) رواه أحمد.[٣٠٥]

مقصود هذا الباب التحذير من الرياء، لأن الرياء منافٍ للتوحيد وكماله.

وفي الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في حكم الرياء.

الرياء هو: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها، فيحمدونه عليها. وهومن كبائر الذنوب، وقد ورد في السنة أحاديث كثيرة في الترهيب من الرياء، ففي الصحيح أنه

٣٠٤ . مسلم (٢٩٨٥).

٣٠٥ . المسند (١١٢٧٢) وحسنه أحمد شاكر، وابن ماجه (٤٢٠٤)، وقال البوصيري: هذا إسناد حسن.

ﷺ قال: ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ)).[٣٠٦]

وفي الطبراني أنه ﷺ قال: ((مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وصَغَّرَهُ وحَقَّرَهُ)).[٣٠٧]

وأخرج ابن ماجه قوله ﷺ: ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ)).[٣٠٨]

والرياء على درجتين:

الدرجة الأولى: رياءُ المنافقين، وهو أن يقصد بجميع أعماله الدينية مراءاة الناس، ولا يقصد بها وجه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، ولا شك أن هذا النوع من الرياء يُعدُ شركاً أكبر.

٣٠٦ . رواه مسلم في الصحيح (١٩٠٥).
٣٠٧ . رواه الطبراني في الكبير بأسانيد أحدها صحيح كما قال المنذري في الترغيب، وصححه الألباني (٢٥).
٣٠٨ . ابن ماجه (٤٢٠٢) وصححه البوصري في الزوائد.

والثانية: المراءاة ببعض العمل، فهذا من الشرك الأصغر، أو الخفي، كما قال ﷺ: ((الشِّرْكُ الْخَفِيُّ يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ)).[٣٠٩]

الوقفة الثانية: في حكم العبادة التي خالطها الرياء.

العبادة التي خالطها الرياء لا تخلو من ثلاث حالات:

الأولى: أن يكون الباعث على العبادة مراءاة الناس من الأصل، فهذا شرك، والعبادة باطلة.

والثانية: أن يطرأ الرياء أثناء العبادة، وفي حكم هذه العبادة تفصيل:

فإن كانت العبادة لا ينبني آخرها على أولها، فأولها صحيح، والباطل آخرها، كمن تصدق بمئة ريال لوجه الله تعالى، ثم زاد الصدقة مئةً أخرى لما أحس بنظر الناس إليه، فالمئة الأولى صحيحة، والثانية باطلة لا أجر له فيها.

وإن كانت العبادة ينبني آخرها على أولها، فتبطل جميع العبادة، كالصلاة.

والحالة الثالثة: أن يطرأ الرياء بعد انتهاء العبادة، فإنه لا يُؤثر على العبادة شيئاً.[٣١٠]

٣٠٩ . انظر إعانة المستفيد للفوزان (١٢٢/٢)، والتمهيد للشيخ صالح آل الشيخ (٣٩٨).

٣١٠ . انظر: القول المفيد للعثيمين (٢٢٧/٢).

بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ الآيتين

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثُ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٌ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ، كَانَ فِي السَّاقَةِ، وَإِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شُفِّعَ لَمْ يُشَفَّعْ**)).[٣١١]

مقصود هذا الباب التحذير من أن يعمل العبد عملاً دينياً بقصد الحصول على أغراضٍ دنيوية، وأن ذلك من الشرك الأصغر، الذي يجب على العبد أن يحذر من الوقوع فيه، لأن التوحيد لا يكمل إلا بتوحيد الله تعالى في القصد والنية.

والفرق بين هذا الباب والذي قبله: أن الباب الذي قبله في الرياء، أي: يعمل ليمدح، فيصلي ليُمدح، ويتصدق ليُمدح، ويحج ليُمدح، وهذا الباب في إرادة الإنسان بعمله الدنيا، فهو يعمل الأعمال الشرعية من أجل المال أو المرتبة أو الصحة، وما أشبه ذلك، وليس من أجل المدح أو مراءات الناس.[٣١٢]

٣١١ . أخرجه البخاري (٢٨٨٦).

٣١٢ . انظر: القول المفيد للعثيمين (٢/٢٤٢)، وإعانة المستفيد للفوزان (٢/١٣٥).

من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا.

وقال ابن عباس: يُوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

وقال الإمام أحمد عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة، الشرك لعله إذا رَدَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُم! قَالَ: ((**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟**))، فَقُلْتُ: بَلَى. قَالَ: ((**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**)) رواه أحمد والترمذي وحسنه.[٣١٣]

مقصود هذا الباب التنبيه على وجوب اختصاص الخالق جل وعلا بالطاعة، وأنه لا يُطاع أحدٌ من الخلق إلا حيث كانت طاعته مندرجةٌ تحت طاعة الله، وإلا فلا تجب طاعة أحدٍ من الخلق استقلالاً.

وأخص ما تكون الطاعة في تحريم الحلال، أو تحليل الحرام.[٣١٤]

---

٣١٣ . الترمذي (٣٠٩٥) وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث، والحديث حسنه شيخ الإسلام في كتاب الإيمان (٦٤).

٣١٤ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٠٩)، والتعليق المفيد للشيخ ابن باز (١٩٥).

ومن الإخلال بالتوحيد أن يُطاع المخلوق في التحليل والتحريم مخالفاً بذلك شرع الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهؤلاء الذين: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التوبة: ٣١]، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، يكونون على وجهين:

أحدهما: أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل، اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم بأنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله، مشركاً مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ.

فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ((**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**))، وقال: ((**عَلَى الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ مَالَمْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ**))، وقال: ((**لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**))، وقال: ((**مَنْ أَمَرَكُمْ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلاَ تُطِيعُوهُ**))، ثم ذلك المُحرم للحلال والمُحلل للحرام، إن كان مجتهداً قصده اتباع الرسول ﷺ، لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يُثيبُه على اجتهاده الذي أطاع به ربه، ولكن من علم أن هذا خطأ فيما جاء به الرسول ﷺ إذا اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول ﷺ، فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله، لاسيما إن اتبع

في ذلك هواه، ونصره باللسان واليد، مع علمه بأنه مخالف للرسول، فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه.

وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد، فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ، وأما إن قلد شخصًا دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن الحق معه، فهذا من أهل الجاهلية، فإن كان متبوعه مصيباً كان عمله صالحاً، وإن كان متبوعه مخطئاً كان آثماً، كمن قال في القرآن برأيه فإن أصاب فقد أخطأ، وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار. ا هـ [٣١٥]

٣١٥ . انظر مجموع الفتاوى (٧/٧٠).

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ الآيات.

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾

وقوله: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآية.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لَمَّا جِئْتُ بِهِ))، قال النووي حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.[٣١٦]

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود. لعلمه أنهم يأخذون الرشوة فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآية.[٣١٧]

وقيل نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر رضي الله عنه فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك قال نعم فضربه بالسيف فقتله.[٣١٨]

---

٣١٦ . أخرجه البغوي في شرح السنة (١٠٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٥). قال ابن رجب في جامع العلوم (٣٩٤/٢): تصحيح هذا الحديث بعيد جدا. لكن قال شيخنا العثيمين في شرح الأربعين (٤٢٧): معنى الحديث بقطع النظر عن إسناده صحيح.

٣١٧ . رواه ابن جرير في التفسير (٩١٩٨/١٥٦/٢)

٣١٨ . انظر : تفسير البغوي (٣١٤)، زاد المسير لابن الجوزي (١١٦/٢).

مقصود هذا الباب تقرير وجوب التحاكم إلى رسول الله ﷺ عند النزاع، وهذا التحاكم حق للرسول ﷺ على أمته، وهو من لوازم شهادة أن محمداً رسول الله، ولا يستقيم التوحيد إلا بذلك. [٣١٩]

وفي الباب وقفتان اثنتان:

الوقفة الأولى: وجوب التحاكم إلى الله والرسول.

يجب في كل ما تنازع فيه الناس أن يُرد إلى الله ورسوله ﷺ، سواء كان هذا التنازع في أصول الدين أو فروعه فإن الكتاب والسنة فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية.

فالإيمان يقتضي الانقياد لحكم الله والرسول ﷺ في كل أمر من الأمور، ومن زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله والرسول فهو كاذب في ذلك، وهذا من إضلال الشيطان إياهم كما قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] [٣٢٠]

٣١٩ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤١٧).
٣٢٠ . انظر: تفسير السعدي (١٤٨).

الوقفة الثانية: في بيان مراتب الناس في اتباع الهوى والهدى.

الناس في اتباع الهوى والهدى مراتب:

المرتبة الأولى: من كان هواه تابعاً لما جاء به الرسول ﷺ، فهذا هو حال المؤمن الكامل في إيمانه.

المرتبة الثانية: من كان ما جاء به الرسول ﷺ تابعاً لهواه، فهذا حال الكافر والعياذ بالله.

المرتبة الثالثة: من كان هواه تابعاً لبعض لما جاء به الرسول ﷺ دون بعض، فإن كان في أصول الدين دون فروعه فهذا حال ناقص الإيمان من المسلمين.

وإن كان العكس، أي: أن هواه تابعاً لما جاء به الرسول ﷺ في الفروع دون الأصول، فهذا هو حال المنافق.[٣٢١]

---

٣٢١ . انظر: التعيين في شرح الأربعين للطوفي (٣٣٢).

بَابُ: مَا جَحَدَ شَيئًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾

وفي صحيح البخاري قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟.[٣٢٢]

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمة ويهلكون عند متشابهة. انتهى.[٣٢٣]

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن، أنكروا ذلك، فأنزل الله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾.[٣٢٤]

مقصود هذا الباب التحذير من جحد شيء من أسماء الله وصفاته، لأن ذلك منافٍ لأصل التوحيد، بل هو من صفات المشركين، كما فعل كفار قريش مع النبي ﷺ في إنكارهم اسم: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ لله تعالى.

إن أصل الإيمان وقاعدته التي يُبنى عليها: الإيمان بالله بأسمائه وصفاته، فكلما قوي علم العبد بذلك، وإيمانه به، وتَعبَّد لله بذلك قوي إيمانه وتحقق توحيده وكمل.

٣٢٢ . أخرجه البخاري (١٢٧).
٣٢٣ . المصنف لعبد الرزاق (٢٠٨٩٥).
٣٢٤ . أخرجه ابن جرير في التفسير (٢٠٣٩٧).

والجحود لأسماء الله تعالى وصفاته وإنكارها نوعان:

أحدهما: إنكار تكذيب، وهذا كفر بلا شك، فلو أن أحداً أنكر اسماً من أسماء الله، أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة، مثل أن يقول: ليس لله يداً، أو أن الله لم يستوي على عرشه، فهذا كافر بإجماع المسلمين، لأن تكذيب خبر الله ورسوله ﷺ كفر مخرج من الملة بالإجماع.

والثاني: إنكار تأويل، وهو إما أن يكون للتأويل مسوغ في اللغة، فهذا لا يُوجب الكفر.

والثالث: أن لا يكون له مسوغ في اللغة، فهذا كفر والعياذ بالله، وهذا في حق غير المقلد.[٣٢٥]

تنبيه!

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان ومالك في أحاديث الصفات وأبو يوسف في الغرائب.[٣٢٦]

٣٢٥ . انظر: القول السديد للسعدي، باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات.

٣٢٦ . انظر الفتح لابن حجر (٢٧٢/١).

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي.

وقال عون بن عبد الله: يقولون لولا فلان لم يكن كذا.

وقال ابن قتيبة: يقولون هذا بشفاعة آلهتنا.[٣٢٧]

وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه أن الله تعالى قال: ((أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ)) الحديث وقد تقدم، وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذُمُّ سبحانه من يُضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

مقصود هذا الباب التنبيه على أن إضافة النعم إلى المنعم وهو الله ﷻ من الأمور الواجبة على الخلق، ومن أضاف النعم إلى غير الله تعالى فقد وقع فيما ينافي أصل التوحيد أو كماله بحسب اعتقاد ذلك القائل.

وفي الباب الوقفات الآتية:

٣٢٧ . انظر: تفسير البغوي (٧١٧).

الوقفة الأولى: في بيان حال الناس مع النعم.

حال الناس مع نعم الله تعالى ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: فمن الناس من يُقر بقلبه ولسانه أن النعم كلها من الله تعالى وحده تفضلاً من غير استحقاق، ولسانه مشغولٌ بالثناء على الله تعالى بها، وهذا حال أهل التوحيد.

والثاني: ومنهم من يُقر بقلبه أن النعم كلها من الله تعالى وحده، وهو بلسانه تارة يُضيفها إلى الله تعالى، وتارة يُضيفها إلى نفسه وعمله، وإلى سعي غيره، كما هو حال كثير من الناس اليوم، فمن كان هذا حاله فإن في توحيده نقص، وعليه أن يتوب إلى الله تعالى من ذلك.

والثالث: وأما من أنكر نعم الله تعالى بقلبه ولسانه، فذلك كافر ليس معه من الدين شيء.[٣٢٨]

الوقفة الثانية: أهمية الشكر وبيان أركانه.

ذكر أهل العلم أن الشكر نصف الإيمان، وذلك أن الإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر.

والشكر فضائله كثيرة: فقد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به الخواص من خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن الجزاء، وجعله سبباً للمزيد من فضله، وحارساً وحافظاً لنعمته، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته، واشتق لهم اسماً من أسمائه، وأن أهله هم القليل من عباده.[٣٢٩]

٣٢٨ . انظر: القول السديد للسعدي (١١٧).
٣٢٩ . انظر مدارج السالكين (٢/٢٣٩).

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ)).[٣٣٠]

وشكر النعم مبني على ثلاثة أركان، وهي:

١. اعتراف القلب بنعم الله تعالى كلها عليه وعلى غيره.

٢. التحدث بها، والثناء على الله بها، قال أبو نضرة: كانوا يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها.

٣. الاستعانة بالنعم على طاعة المنعم، وعبادته سبحانه.

الوقفة الثالثة: في إضافة النعم إلى الأسباب.

إضافة النعم إلى الأسباب على ثلاث حالات:

الحالة الأولى: إضافة النعم إلى سبب صحيح، ثابت شرعاً أو حِساً، فهذا جائزٌ بشرط أن لا يعتقد أن السبب مؤثرٌ بنفسه، أو أن لا يتناسى المنعم بذلك.

والثانية: إضافة النعم إلى سبب ظاهر، لكن لم يثبت كونه سبباً لا شرعاً ولا حِساً، فهذا نوعٌ من الشرك الأصغر، كمن يُضيف إلى التولة أو القلائد منع العين وتأثيرها، لأنه أثبت سبباً لم يجعله الله سبباً، فكان مشاركاً لله في إثبات الأسباب.

والثالثة: الإضافة إلى سبب خفيٍّ، لا تأثير له إطلاقاً، فهذا شركٌ أكبر، كأن يضيف حصول النعم، ودفع النقم للولي الفلاني، ولأنه شرك في الربوبية، كونه يعتقد أن هناك من يُدبر أمور الكون مع الله.[٣٣١]

٣٣٠ . أخرجه مسلم (٢٧٦٠).

٣٣١ . انظر: القول المفيد للعثيمين (٢/٣١٣-٣١٤).

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قال ابن عباس في الآية: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي.

وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص.

ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت، قول الرجل: لولا الله وفلان.

لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك. رواه ابن أبي حاتم. [٣٣٢]

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**)) رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم. [٣٣٣]

وقال ابن مسعود ﷺ: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً. [٣٣٤]

وعن حذيفة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**)). رواه أبو داود بسند صحيح. [٣٣٥]

وجاء عن إبراهيم النخعي: أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: ولولا الله وفلان. [٣٣٦]

---

٣٣٢ . قال الشيخ سليمان في التيسير (٤٤٢): وسنده جيد.

٣٣٣ . الترمذي (١٥٣٥)، والحاكم (٢٩٧/٤)، صوابه: عن ابن عمر.

٣٣٤ . أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٠٢)، قال الهيثمي في المجمع (٣١٨/٤) : رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح.

٣٣٥ . أبو داود (٤٩٨٠)، وصححه النووي في رياض الصالحين (١٧٤٨).

٣٣٦ . كتاب الصمت لابن أبي الدنيا (٣٤٧).

مقصود هذا الباب التنبيه على شرك الألفاظ، لأن توحيد العبد لا يتم حتى يُوحد الله في قوله وقلبه وفعله، ولا يجعل لله تعالى نِداً في قلبه وقوله وفعله.

والنصوص التي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب تُفيد أن التنديد باللفظ يُعد من الشرك الأصغر، كقول بعضهم: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وفلان، وأعوذ بالله وبك، وكذلك الحلف بغير الله تعالى، فالواجب الحذر من هذه الألفاظ، وصيانة اللسان من النطق بها.

ومن صان لسانه من الوقوع في هذا الشرك، فعليه أن ينسب النعم إلى المتفضل بها وحده وهو الله جل في عُلاه فيقول: لولا الله ما حصل كذا وكذا، وبهذا يكمُل توحيد العبد.

ولو قال: لولا الله ثم فلان، فإنه لا بأس في ذلك.

والسبب في المنع من العطف بـ(الواو) وجوازها بـ(ثم)، أن (الواو) يقتضي التشريك، و(ثم) لا تقتضي التشريك، وإنما تقتضي الترتيب والتعقيب.

وبهذا نعلم أن الألفاظ في نسبة النعم تكون على ثلاث درجات:

- **الدرجة الأولى**: أن يقول: لولا الله لما حصل كذا، فهذا هو الكمال.
- **والثانية**: أن يقول: لولا الله ثم فلان لما حصل كذا، فهذا جائزٌ.
- **والثالثة**: أن يقول: لولا الله وفلان، فهذا محرم لا يجوز.

بَابٌ: مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللَّهِ

عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ**)) رواه ابن ماجه بسند حسن.[٣٣٧]

مقصود هذا الباب التحذير من الأحوال التي تُنافي تعظيم الله تعالى، ومن ذلك ما جاء من الوعيد في حق من لم يقنع بالحلف بالله، لأن ذلك يدل على قلة تعظيمه لجناب الربوبية، إذ القلب الممتلئ بمعرفة عظمة الله وجلاله، وعزته وكبريائه لا يفعل ذلك.[٣٣٨]

ومن هذا الباب نأخذ أن كمال التوحيد مبنيٌ على كمال التعظيم، فكلما كان التعظيم أكمل كان توحيد العبد أتم، والتعظيم لا يكمل في قلب العبد إلا بالمعرفة، فأعرف الناس بالله، أشدهم له تعظيماً وإجلالاً.[٣٣٩]

والوعيد الوارد في حديث الباب الصحيح أنه محمول على الحلف في الدعاوى، فمن حُلِفَ له بالله تعالى في الدعاوى، كمن يتحاكم عند القاضي فيحكم على خصمه باليمين، فيحلف، فيجب عليه أن يرضى تلك اليمين، ويسلِّم أمره لله تعالى.[٣٤٠]

٣٣٧ . ابن ماجه (٢١٠١)، وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح، وصححه الألباني.
٣٣٨ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٤٩)، وإعانة المستفيد للفوزان (٢/٢٣١).
٣٣٩ . انظر: مدراج السالكين لابن القيم (٢/٤٦٣).
٣٤٠ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٥٠).

بَابٌ: قَوْلُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ

عن قتيلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ، فقال: إنكم تشركون ! تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ((وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ)). رواه النسائي وصححه.[٣٤١]

وله أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ. فَقَالَ: ((أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ)).[٣٤٢]

ولابن ماجه: عن الطفيل رضي الله عنه أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته. قال: ((هَلْ أَخْبَرْتِ بِهَا أَحَدًا؟)) قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا فَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا وَأَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلاَ تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ)).[٣٤٣]

---

٣٤١ . النسائي (٣٧٧٣)، وصححه ابن حجر في الإصابة (٨/٢٨٤)

٣٤٢ . النسائي في الكبرى (١٠٧٥٩) بلفظ ((أجعلتني لله عدلاً))، وابن ماجه (٢١١٧)، قال البوصيري: هذا إسناد فيه الأجلح بن عبدالله مختلف فيه، ضعفه أحمد وأبو حاتم والنسائي وأبو داود وابن سعد، ووثقه ابن معين والعجلي ويعقوب بن سفيان وباقي رجاله ثقات.

٣٤٣ . ابن ماجه (٢١١٧)، قال البوصيري: رجال الإسناد ثقات على شرط البخاري. وصححه الألباني. قال الشيخ سليمان في التيسير(٤٥٠): هذا الحديث لم يروه ابن ماجه بهذا اللفظ عن الطفيل، وإنما رواه عن حذيفة.
والحديث وقع فيه بعض الاختلاف، لكن الحافظ ابن حجر رجح أن الحديث من رواية الطفيل، انظر الفتح (١١/٥٤٠).

مقصود هذا الباب صيانة التوحيد من بعض الألفاظ التي تُنافي تعظيم العبد لربه، ومن هذه ألفاظ التنديد، كقول: ما شاء الله وشئت، أو ما شاء الله وشاء فلان، وقول ما شاء الله وشئت، منافٍ للتوحيد وكماله، فمن اعتقد أن المعطوف مساوٍ لله تعالى في المشيئة، فقد وقع في الشرك الأكبر، ومن اعتقد أن المعطوف دون الله تعالى في المشيئة فقد وقع في شرك الألفاظ، الذي يُعد من الشرك الأصغر.

مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ الآية

وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**)).[٣٤٤]

وفي رواية: ((**لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ**)).[٣٤٥]

مقصود هذا الباب التحذير من سبِّ الدهر، لأن في سبَّ الدهر وقوع فيما يُنافي التوحيد أو كماله.[٣٤٦]

وفي الباب وقفتان اثنتان:

الوقفة الأولى: في بيان مفاسد سبّ الدهر.

في سب الدهر ثلاث مفاسد عظيمة:

المفسدة الأولى: أن في سَبِّه اعتداءٌ وظلم، فالدهر ليس بأهل أن يُسب، فإنه خلقٌ

٣٤٤ . أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).
٣٤٥ . صحيح مسلم (٢٢٤٦).
٣٤٦ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٥٧)، وحاشية ابن قاسم (٣١١).

مُسخر من خلق الله، مُنقادٌ لأمره مُذلّلٌ لتسخيره، فسابُّه أولى بالذم والسبِّ منه.

المفسدة الثانية: أن سبَّه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضرَّ من لا يستحق الضرر، وأعطى من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرم من لا يستحق الحرمان، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبِّه كثيرة جداً، وكثير من الجهال يُصرح بلعنه وتقبيحه.

المفسدة الثالثة: أن السبَّ فيه إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق في أهواءهم لفسدت السموات والأرض، وإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر، وأثنوا عليه، وفي حقيقة الأمر، فرب الدهر تعالى هو المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء، فبمسبتهم الدهر مسبة لله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى.[٣٤٧]

الوقفة الثانية: في حكم سب الدهر.

سبُّ الدهر أو ذمه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يُقصد الخبر المحض دون اللوم، فهذا جائز مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم، أو برده وما أشبه ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾

٣٤٧ . انظر زاد المعاد لابن القيم (٢/٣٥٤).

الثاني: أن يُسبَّ الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر، فهذا شرك أكبر، لأنه اعتقد أن مع الله خالقاً، لأنه نسب الحوادث إلى غير الله، وكل من اعتقد أن مع الله خالقاً فهو كافر.

الثالث: أن يَسُب الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده، فهذا محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك.[٣٤٨]

٣٤٨ . انظر: القول المفيد للعثيمين (٢/٣٥١)، وزاد المعاد (٢/٣٥٥).

بَابُ: التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى: مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ)).[٣٤٩]

قال سفيان: مثل شاهان شاه.

وفي رواية: ((أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ)).[٣٥٠]

قوله: ((أَخْنَعَ)) يعني: أوضع.

مقصود هذا الباب التنبيه على اختصاص الله تعالى بالتعظيم المطلق، فالموحد لا يجعل مخلوقاً في منزلة الله جل وعلا فيما هو من خصائص الله، لذا نصَّ المصنف رحمه الله على المنع من التسمي بالأسماء التي معناها خاص بالله تعالى، كالتسمي بقاضي القضاة، أو ملك الأملاك.

فمن مقتضيات التوحيد ألا يُوصف بها إلا الله، وألا يُسمى بها إلا الله جل وعلا.[٣٥١]

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في سياق ما دلت الشريعة على تحريم التسمي به: كل اسم فيه دعوى ما ليس للمسمى، فيحمل من الدعوى والتزكية والكذب ما لا يقبل بحال.

٣٤٩ . أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣/٢٠).
٣٥٠ . أخرجها مسلم (٢١٤٣/٢١).
٣٥١ . انظر: التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ (٤٧١-٤٧٢).

ومنه ما ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: ((**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى: مَلِكَ الْأَمْلَاكِ...**)) الحديث، متفق عليه.

ومثله قياساً على ما حرمه الله ورسوله: سلطان السلاطين، حاكم الحكام، شاهنشاه، قاضي القضاة.

وكذلك تحريم التسمية بمثل: سيد الناس، سيد الكل، سيد السادات، ست النساء.[٣٥٢]

٣٥٢ . تسمية المولود (٢٠-٢١).

بَابٌ: اِحْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

عن أبي شريح أنه كان يُكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ)) فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: ((مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟)) قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: ((فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟)) قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: ((فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ)) رواه أبو داود وغيره.[٣٥٣]

مقصود هذا الباب بيان أن من تحقيق التوحيد احترام أسماء الله تعالى وتعظيمها، وأن من تعظيمها عدم التسمي بها، مما لا يصلح إلا لله تعالى، وتغيير الاسم لأجل هذا.[٣٥٤]

قال ابن الأثير: في حديث أبي شريح أنه كان يُكنى أبا الحكم، فكناه النبي ﷺ بأبي شريح: وإنما كره له ذلك لئلا يُشارك الله تعالى في صفته.[٣٥٥]

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في سياق ما دلت الشريعة على تحريم التسمي به:

التسمية باسم من أسماء الله تبارك وتعالى فلا تجوز التسمية باسم يختص به الرب سبحانه، مثل: الرحمن، الرحيم، الخالق، البارئ...، وقد غَيَّر النبي ﷺ ما وقع من التسمية بذلك.

وفي القرآن العظيم: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، أي لا مثيل له يستحق مثل اسم الذي هو الرحمن.[٣٥٦]

---

٣٥٣ . أبو داود (٤٩٤٥)، وصححه ابن حبان(٥٠٤).

٣٥٤ . انظر تيسير العزيز الحميد (٤٦٥)، والتمهيد لآل الشيخ (٤٧٧).

٣٥٥ . الآداب لابن مفلح (٣/٢٩٦).

٣٥٦ . تسمية المولود (١٩).

بَابٌ: مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ الآية

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله وأصحابه القراء. فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنِسعَة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كانا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.[٣٥٧]

مقصود هذا الباب التحذير من الهزل أو الاستهزاء بالله تعالى، أو بالرسول، أو بالقرآن، لأن ذلك مُنافٍ لأصل التوحيد.

ومن سبَّ، أو استهزأ بالله، أو بالرسول، أو بالقرآن فإنه كافرٌ الكفر الأكبر المخرج من الملة.

٣٥٧ . انظر: تفسير الطبري (١٦٩٣٠-١٦٩٣١)، وأسباب النزول للواحدي (٥١٣)، والصحيح من أسباب النزول للوادعي(١٢٢).

قال القاضي أبو بكر بن العربي: الهزل بالكفر كفرٌ لا خلاف فيه بين الأُمة، فإن التحقيق أخو العلم والحق، والهزل أخو الباطل والجهل،قال علماؤنا: انظروا إلى قوله: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.اهـ[٣٥٨]

وأما الاستهزاء بغير ذلك فينظر: إن كان راجعاً إلى الله تعالى، أو الرسول، أو القرآن فهو كفرٌ أكبر، وإن كان غير ذلك فإنه يكون محرماً ولا يكون كفراً أكبر.[٣٥٩]

٣٥٨ . أحكام القرآن (٢/٤٤٣).

٣٥٩ . انظر: التمهيد لصالح آل الشيخ (٤٨٢-٤٨٣).

بَابُ مَا جَاء فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ الآية

قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به.

وقال ابن عباس: يريد من عندي.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِى﴾ قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب.

وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل، وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.[٣٦٠]

وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ لِلَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ - أَوْ قَالَ الْبَقَرُ، شَكَّ إِسْحَاقُ - قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، قَالَ: بَارَكَ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرًا حَسَنًا وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ أَوِ اللإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: بَارَكَ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ

٣٦٠ . انظر: تفسير البغوي (١١٥٤)، زاد المسير لابن الجوزي (١٢٦١).

بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا، أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ؛ فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ)) أخرجاه.[٣٦١]

لما كان من مقاصد هذا الكتاب بيان ما ينافي كمال التوحيد بيّن رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب أن من زعم استحقاق ما حصل له من النعم أنه قد وقع فيما يُنقص ويُنافي كمال التوحيد.

ومن تمام التوحيد وكماله أن يعظم العبدُ ربَه جل وعلا، ولا يعتقد استحقاق شيء من النعم، ولا أنه أوتي النعمة لجاهه، أو لجهده، أو لعمله، بل النعم فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

٣٦١ . البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

والناس في هذا الباب أقسام:

١. فمن الناس من ينسب النعم إلى نفسه، وهذا كاذب في زعمه.

٢. ومن الناس من ينسب النعم إلى الله تعالى، لكنه يرى أنه مستحق لتلك النعم، وهذا من قلة تعظيم الله جل وعلا، ونقص توحيده.

٣. وأهل تمام التوحيد يرون أن النعم فضل من الله تعالى دون استحقاق للعبد فيها، وهكذا هم أهل التوحيد يعظمون ربهم جل وعلا، ويرون أنه المتفضل بالنعم والسابق بالإحسان سبحانه وبحمد.

بَابُ قول الله تعالى:
﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشا عبدالمطلب.[٣٦٢]

وعن ابن عباس في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس، فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك، فيشقه، ولأفعلن، ولأفعلن، يُخوفهما سمياه عبدالحارث. فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا. ثم حملت فأتاهما، فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبدالحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ رواه ابن أبي حاتم.[٣٦٣]

وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.[٣٦٤]

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ قال: أشفقا أن لا يكون إنساناً؛ وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

---

٣٦٢ . مراتب الإجماع لابن حزم (٢٤٣).

٣٦٣ . أخرجه ابن جرير في التفسير (١٥٥١٧)، وضعفه الألباني في الضعيفة برقم (٣٤٢)، قال ابن كثير (٢/٢٦٤): وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب. وقال شيخنا العثيمين: وهذه القصة باطلة من وجوه، وذكر ﷺ سبعة وجوه في بطلانها.

٣٦٤ . أخرجه ابن جرير (١٥٥٢١).

مقصود هذا الباب بيان أن تعبيد الأسماء لغير الله تعالى شركٌ يُنافي كمال التوحيد، إن كان المقصود مجرد التسمية، أما إن كان المقصود تعبيد التأله لغير الله فإنه شرك أكبر يُنافي أصل التوحيد.[٣٦٥]

وفي الباب وقفتان اثنتان:

الوقفة الأولى: في التفسير الصحيح لآية الترجمة.

ظاهر صنيع المؤلف يدل على أنه يختار أن الآية في آدم وحواء كما هو اختيار بعض المفسرين.

والصحيح أن الآية ليست في آدم وحواء، وإنما في جنس ذرية آدم وحواء الذين أشركوا من بني اسرائيل من يهود ونصارى وغيرهم، وبهذا جزم الحسن البصري ووافقه عليه آخرون، ورجحه ابن القيم في التبيان، وقال:ولا يُلتفت إلى غير ذلك.[٣٦٦]

قال ابن العربي المالكي رحمه الله: وهذا القول أشبه بالحق، وأقرب إلى الصدق، وهو ظاهر الآية.[٣٦٧]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: هذا هو المعنى الصحيح الذي لا يسوغ القول بغيره.

وقد ذكر المباركفوري رحمه الله ستة أوجه في بطلان القول أنها في آدم وحواء.[٣٦٨]

قال السعدي رحمه الله في توجيه الآية: وهذا انتقال من النوع إلى الجنس، فإن أول

٣٦٥ . انظر: إعانة المستفيد للفوزان (٢/٢٧٩)،
٣٦٦ . التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (٢٦٣).
٣٦٧ . أحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٨٨).
٣٦٨ . تحفة الأحوذي (٨/٣٦٧).

الكلام في آدم وحواء، ثم انتقل إلى الكلام في الجنس، ولا شك أن هذا موجود في الذرية كثيرا، فلذلك قررهم الله على بطلان الشرك، وأنهم في ذلك ظالمون أشد الظلم، سواء كان الشرك في الأقوال، أم في الأفعال، فإن الخالق لهم من نفس واحدة، الذي خلق منها زوجها وجعل لهم من أنفسهم أزواجا، ثم جعل بينهم من المودة والرحمة ما يسكن بعضهم إلى بعض، ويألفه ويلتذ به، ثم هداهم إلى ما به تحصل الشهوة واللذة والأولاد والنسل.

ثم أوجد الذرية في بطون الأمهات، وقتاً موقوتاً، تتشوف إليه نفوسهم، ويدعون الله أن يخرجه سوياً صحيحاً، فأتم الله عليهم النعمة وأنالهم مطلوبهم. اهـ [٣٦٩]

الوقفة الثانية: في بيان حكم تحريم تعبيد الأسماء لغير الله تعالى.

اتفق المسلمون على أنه يحرم كل اسم معبد لغير الله تعالى، من شمس أو وثن أو بشر أو غير ذلك، مثل: عبد الرسول، عبد النبي، عبد علي، عبد الحسين، عبد الأمير –يعني: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه–، عبد الصاحب –يعني: صاحب الزمان المهدي المنتظر–، وهي تسميات الروافض.

وقد غير النبي ﷺ كل اسم معبد لغير الله تعالى، مثل: عبد العزى، عبد الكعبة، عبد شمس، عبد الحارث.

ومن هذا الباب غلام الرسول، غلام محمد، أي: عبد الرسول... وهكذا.

والصحيح في عبد المطلب المنع.

ومن هذا الغلط في التعبيد لأسماء يظن أنها من أسماء الله تعالى وليست كذلك

٣٦٩ . تفسير السعدي (٢١٣)، وانظر: الأضواء للشنقيطي (٢/٢٤٠).

مثل: عبد المقصود، عبد الستار، عبد الموجود، عبد المعبود، عبد الهوه، عبد المرسل، عبد الوحيد، عبد الطالب... فهذه يكون الخطأ فيها من جهتين:

- من جهة التسمية لله بما لم يرد به السَمْع، وأسماؤه سبحانه توقيفية على النص من كتاب أو سنة.
- والجهة الثانية التعبيد بما لم يسم الله به نفسه ولا رسوله ﷺ.[٣٧٠]

٣٧٠ . انظر: تسمية المولود للعلامة بكر أبو زيد (١٩)

بَابُ قول الله تعالى:
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ الآية

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يشركون.

وعنه: سمُّوا اللات من الإله، والعزى من العزيز.[٣٧١]

وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

مقصود هذا الباب فيما يظهر أمران:

الأول: بيان وجوب إثبات أسماء الله وصفاته، إذ أن الإلحاد في أسماء الله تعالى وهو: الميل بها عن مقصودها لفظاً، أو معنىً، تصريحاً، أو تأويلاً، أو تحريفاً، مُنافٍ للتوحيد، ومن مقصود المؤلف في هذا الكتاب بيان ما يُنافي التوحيد.

والثاني: الرد على من يتوسل بذوات الأموات، وأن المشروع التوسل بالأسماء الحسنى والصفات العليا، والأعمال الصالحة، لأن مسألة التوسل ضلَّ فيها كثير من الخلق قديماً، وحديثاً.[٣٧٢]

وفي الباب وقفتان اثنتان:

---

٣٧١ . قال الشيخ سليمان في التيسير(٤٨٨): وهذا الأثر لم يروه ابن أبي حاتم عن ابن عباس إنما رواه عن قتادة فاعلم ذلك.

٣٧٢ . انظر: حاشية التوحيد لابن قاسم (٣٣٧)، وإعانة المستفيد للفوزان (٢/ ٢٨٩).

الوقفة الأولى: في كيفية تعظيم أسماء الله الحسنى.

الواجب على الخلق تعظيم أسماء الله الحسنى، وتعظيمها إنما يكون بثلاثة أمور:

العلم بها نفياً وإثباتاً، فنثبت لله ﷻ ما أثبته لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العليا أو أثبته له رسوله ﷺ، وننفي ما نفاه سبحانه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ.

فهم معانيها، ومدلولها، والعلم بما تضمنته من معاني الجلال والكمال.

دعاء الله تعالى بها، دعاء ثناء، ودعاء مسألة، فنسأله ﷻ بأسمائه وصفاته بما يُوافق المطلوب، كأن يُقال: ربِّ اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة، والمعارف الجميلة، والتعبد لله بها ودعاؤه بها، فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه: فليتوسل إليه باسم مناسب له من أسماء الله الحسنى، فمن دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزاق، ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمن البر الكريم العفو الغفور التواب ونحو ذلك.

وأفضل من ذلك أن يدعوه بأسمائه وصفاته دعاء العبادة، وذلك باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتلئ بأجل المعارف.

فمثلا أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلب تعظيماً لله وإجلالاً له.

وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله، وشوقاً له وحمداً له وشكراً.

وأسماء العز والحكمة والقدرة تملأ القلب خضوعاً لله وخشوعاً وانكسارا بين يديه.

وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبةً لله في الحركات والسكنات، وحراسة للخواطر عن الأفكار الرديئة، والإرادات الفاسدة.

وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقاراً، واضطراراً إليه والتفاتاً إليه كل وقت وفي كل حال.

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته، وتعبده بها لله لا يحصل العبد في الدنيا أجل ولا أفضل ولا أكمل منها، وهي أفضل العطايا من الله لعبده، وهي روح التوحيد وروحه، ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخاص والإيمان الكامل، الذي لا يحصل إلا للكُمل من الموحدين.[٣٧٣]

الوقفة الثانية: في بيان أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى.

الإلحاد في أسماء الله تعالى معناه: العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها.

وهذا العدول أو الميل له أنواع:

أحدها: أن تُسمى الأصنام بأسماء الله تعالى، كما فعل أهل الجاهلية فسموا اللات من الإله، والعُزى من العزيز.

والثاني: تسمية الله سبحانه بما لا يليق بجلاله من الأسماء، كتسمية النصارى له أباً.

٣٧٣ . القول السديد للسعدي (٣٨).

والثالث: وصفه سبحانه بما يتعالى عنه من النقائص، كقول اليهود:إنه فقير.

والرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها، كقول الجهمية: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني.

والخامس: تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه.

وقد سبق في الباب الأربعين من هذا الكتاب بيان حكم من جحد شيئاً من الأسماء والصفات.

بَابُ لَا يُقَالُ: اَلسَّلَامُ عَلَى اَللَّهِ

في الصحيح عن ابن مسعود ﷺ قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة، قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: ((**لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ**)).[٣٧٤]

مقصود هذا الباب هو صيانة توحيد العبد من بعض الألفاظ التي تُنافي تعظيم العبد لربه جل وعلا، ومن هذه الألفاظ، قول: السلام على الله.

لأن الواجب على الخلق تنزيه الله تعالى عن الحاجة، ووصفه بالغنى والكمال وهذا من واجبات التوحيد.

وقول العبد: السلام على الله، يُوهم بأمرين كلاهما غير جائز في حق الله تعالى، وهما:

يُوهم بجواز النقص في حق الله تعالى.

ويقتضي أننا ندعوا الله لله، وهذا لا يجوز.[٣٧٥]

٣٧٤ . أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢)

٣٧٥ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٨٨).

بَابُ قَوْلُ: اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ)).

ولمسلم: ((وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ)).[٣٧٦]

مقصود هذا الباب صيانة توحيد العبد من بعض الألفاظ التي تُنافي تعظيم العبد لربه جل وعلا. ومن هذه الألفاظ، تعليق الدعاء بالمشيئة.

إذ أن تعليق الدعاء بالمشيئة فيه من المفاسد الشرعية ما يُنافي كمال التوحيد، كأن يقال: اللهم اغفر لي إن شئت، واللهم ارحمني إن شئت.

ومن المفاسد الشرعية في تعليق الدعاء بالمشيئة ما يلي:

أولاً: أنه يُشعر بأن الله مُكرهٌ على الشيء، وهذا يُؤخذ من قوله ﷺ: ((فَإِنَّ اللَّهَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ)).

ثانياً: كأنه يرى أن هذا الأمر عظيم على الله تعالى فقد لا يشاؤه، وهذا المعنى يُؤخذ من قوله ﷺ: ((فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ)).

ثالثاً: أنه يُشعر باستغناء الداعي عن الله تعالى، وهذا المعنى يؤخذ من قوله ﷺ: ((لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ))، وقوله: ((وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ)).[٣٧٧]

٣٧٦ . البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٨).

٣٧٧ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٩١).

بَابٌ لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلاَيَ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي**)).[٣٧٨]

مقصود هذا الباب التنبيه على أهمية تعظيم الله جل وعلا، والتحذير من الألفاظ التي تُنافي ذلك التعظيم، ولا يكون توحيد العبد كاملاً إلا بتعظيم الرب ﷻ، ولا يكمل تعظيم الرب إلا إذا احترس العبد من الألفاظ التي تُنافي التعظيم والأدب مع الله تعالى.

ومن الألفاظ التي تُؤثر على كمال التوحيد وتحقيقه ما ورد في حديث الباب.

وقد تكلم أهل العلم على حكم إضافة (الرب) إلى المخلوق.

وخلاصة كلامهم ما يلي:

- **أولاً**: إطلاق لفظ (الرب)، لا يصلح إلا لله جل وعلا، كما أنه لا يجوز أن يقال لأحدٍ إله، فكذلك لا يجوز أن يقال لأحدٍ (الرب).

- **ثانياً**: أما مع الإضافة فإنها على قسمين:

أحدهما: الإضافة إلى المكلف، فحكمها الجواز مع الكراهة، أما الجواز فلقوله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾

٣٧٨ . رواه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

وأما الكراهة فلنهي النبي ﷺ عن ذلك كما في حديث الباب.

وإنما كُره للإنسان أن يقول ذلك، لأنه مربوب متعبد بإخلاص التوحيد، فكره له المضاهاة بالاسم لئلا يدخل في معنى الشرك، والعبد والحر فيه بمنزلة واحدة.

وقد بيَّن النبي ﷺ اللفظ الذي لا محظور فيه، وهو أن يقال: سيدي، ومولاي، لأن السيادة راجعة إلى معنى الرياسة على من هو تحت يده، والسياسة له، وحسن التدبير لأمره، ولذلك سُمي الزوج سيداً، قال تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾

والمولى معناه: كثير التصرف، من وليٍّ وناصرٍ، وابن عمٍّ، وحليف، وأصله من ولاية أمره، وإصلاحه.

والثاني: الإضافة إلى غير المكلف، أي: ما لا تَعبُّد عليه من سائر الحيوان والجماد، فلا يمنع منه كقول: ربُّ الدار، وربُّ الدابة والثوب.[٣٧٩]

الوقفة الثانية: حكم قول: عبدي وأمتي؟

اتفق العلماء على أن النهي الوارد في ذلك للتنزيه، قاله الحافظ ابن حجر في الفتح.[٣٨٠]

وقد ذكر بعض أهل العلم أن النهي إنما جاء متوجهاً إلى السيد إذ هو في مظنة الاستطالة، وأما الغير: هذا عبد فلان، وهذه أمة فلان فجائز، لأنه يقوله إخباراً، أو تعريفاً. قال الشيخ سليمان رحمه الله: وهو حسن، وقد رويت أحاديث تدل على ذلك.[٣٨١]

٣٧٩ . انظر: فتح الباري (٥/٢١٣)، وشرح السنة للبغوي (٦/٣٩٨)، وحاشية ابن قاسم (٣٤٥).
٣٨٠ . فتح الباري (٥/٢١١).
٣٨١ . تيسير العزيز الحميد (٤٩٥).

بَابٌ: لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَ وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُم مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**)) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.[٣٨٢]

مقصود هذا الباب هو العناية بتعظيم الله تعالى، فكمال التوحيد مرتبطٌ بكمال التعظيم، ومن تعظيم الله تعالى أن لا يُرد من سأل بالله تعالى.[٣٨٣]

وقد تكلم الفقهاء في حكم من سأل بالله تعالى، هل تلزم إجابته؟ أم أن الأمر محمول على الاستحباب؟

وقد ذهب شيخ الإسلام إلى أنه تلزم الإجابة إذا كانت على معين، بخلاف من كان يسأل الناس عموماً، مع قصد الإلزام، لا الإكرام.[٣٨٤]

ووجه عدم لزومها بقصد الإكرام، أن أبا بكر أقسم على النبي ﷺ ليخبره بالصواب، والخطأ لما فسر الرؤيا، فقال له النبي ﷺ: ((**لاَ تُقْسِمْ**)).[٣٨٥]

لأنه ﷺ علم أن أبا بكر لم يَقصد الإقسام عليه، مع وجود المصلحة المقتضية للكتم.

---

٣٨٢ . أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٢٥٦٧).

٣٨٣ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٩٦)، وإعانة المستفيد للفوزان (٣١١/٢).

٣٨٤ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٩٦)

٣٨٥ . رواه البخاري (٧٠٤٦)، ومسلم (٢٢٦٩).

بَابٌ: لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةَ)) رواه أبو داود.[٣٨٦]

مقصود هذا الباب بيان أن الواجب على كل مسلم أن يعظم أسماء الله تعالى وصفاته ويحترمها، ومن تعظيمها أن لا يسأل بها شيئاً من المطالب الدنيوية، بل تكون لأهم المطالب وأعظمها وهي الجنة.

وحاصل السؤال بوجه الله تعالى يتلخص في أربعة أوجه:

١. سؤال الله بوجهه أمراً دينياً أو أُخروياً، وهذا صحيح، ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، قال النبي ﷺ: ((أَعُوذُ بِوَجْهِكَ)).[٣٨٧]

٢. سؤال الله بوجهه أمراً دنيوياً وهذا غير جائز، وعليه يُحمل حديث الباب.

٣. سؤال غير الله بوجه الله أمراً دنيوياً، وهو غير جائز، وعليه يُحمل ما رواه الطبراني بسند حسن من حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: ((مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ

٣٨٦ . أبو داود برقم (١٦٧١)، قال في تيسير العزيز الحميد (٥٠٠): في إسناده سليمان بن معاذ، قال ابن معين: ليس بشيء، وضعفه عبدالحق وابن القطان. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي دود.

٣٨٧ . أخرجه البخاري (٤٦٢٨).

الله وَمَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ الله ثُمَّ مَنَعَ سَائِلَهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ هُجْراً)).[٣٨٨]

٤. سؤال غير الله بوجه الله أمراً دينياً.[٣٨٩]

---

٣٨٨ . حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٢٩٠)

٣٨٩ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٠٠)، وعون المعبود(٥/٦٠)، ومعجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد (١٨٣)، والسلسلة الصحيحة للألباني حديث رقم (٢٢٩٠)

بَابٌ: مَا جَاءَ فِي اَللَوْ

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾

في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ, وَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اَللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ; فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ اَلشَّيْطَانِ**)).[٣٩٠]

مقصود هذا الباب وجوب لزوم الأدب مع قضاء الله تعالى وقدره، وترك التحسر على الماضي، فلا يتحسر بلو كان كذا لكان كذا وكذا. فالموحد تجده دائم الأدب مع ربه جل وعلا، فعند المصائب صابرٌ، وعند النعماء شاكرٌ، والتوحيد لا يكمل إلا بلزوم الصبر والشكر.

واستعمال (لو) يكون على عدة أوجه:

الأول: أن تستعمل (لو) في الاعتراض على الشرع، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، وهذا أمر محرم.

والثاني: أن تستعمل (لو) في الاعتراض على القدر، كما في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ

٣٩٠ . أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وهذا أمر محرم أيضاً.

والثالث: أن تستعمل (لو) للندم والتحسر، كما قال ﷺ: ((**اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ, وَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ، وَلَا تَعْجَز، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اَللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ; فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ اَلشَّيْطَانِ**)) وهذ أمر محرم أيضاً.

الرابع: أن (لو) تستعمل للتمني، وهذا الاستعمال حكمه حكم المتمنى، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.[٣٩١]

٣٩١ . انظر: فتح الباري (٢٣٨/١٣)، وحاشية التوحيد لابن قاسم (٣٥٢) وإعلام الموقعين لابن القيم (٢٠٢/٣)، والقول المفيد للعثيمين (١٢٢/٣).

بَابُ: اَلنَّهْيُ عَنْ سَبِّ اَلرِّيحِ

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**)) صححه الترمذي.[٣٩٢]

مقصود هذا الباب تتمة لسابقه من وجوب لزوم الأدب مع الله تعالى، ومن الأدب عدم سبِّ الريح، فالريح إنما تهب بأمر الله تعالى، فلا تأثير لها إلا بأمر الله تعالى، فسبُّها سبٌّ لله تعالى، واعتراض على الخالق جل وعلا.[٣٩٣]

ولاشك أن سبَّ الله جل وعلا، أو سبّ ما نهى اللهُ ورسولُه عن سبِّه يُعد من قوادح التوحيد.

والمؤمن الذي يُريد صيانة توحيده من الثلم والنقص، لا يعترض على قضاء الله وقدره، ولا يسبُّه، بل يستسلم لأمر الله الكوني، كما أنه استسلم لأمره الشرعي، مع علمه أن الريح وغيرها من المخلوقات، لا تملك أن تفعل شيئاً إلا بأمر الله سبحانه وتعالى.

٣٩٢ . أخرجه الترمذي (٢٢٥٢).

٣٩٣ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٠٦).

بَابُ قول الله تعالى:
﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ الآية

وقوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء، لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة، يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته، وحمده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر، وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر وفتش نفسك هل أنت سالم.

فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً

مقصود هذا الباب هو التنبيه على واجب من واجبات التوحيد وهو حسن الظن بالله تعالى.

وقد ذكر المؤلف عن ابن القيم رحمه الله أن سوء الظن الذي وقع فيه أهل الجاهلية راجع إلى ثلاثة أشياء:

الأول: إنكار حكمة الله تعالى.

والثاني: إنكار القدر.

والثالث: إنكار إتمام أمر الرسالة التي جاء بها النبي ﷺ، وظهور دينه على الأديان كلها.

والمخرج الذي يضمن للمسلم السلامة من الوقوع في سوء الظن بالله تعالى هو التعرف على الله بأسماءه وصفاته.

قال ابن القيم رحمه الله: ولا ريب أن حسن الظن بالله إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن حسن الظن بربه، أنه يجازيه على إحسانه، ولا يخلف وعده، ويقبل توبته، وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه، وهذا موجود مشاهد فإن العبد الآبق المسيء الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به، ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبداً، فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته، وأحسن الناس ظناً بربه أطوعهم له. كما قال الحسن البصري: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل.

وكيف يكون محسن الظن بربه من هو شارد عنه، حال مرتحل في مساخطه، وما يغضبه، متعرض للعنته، قد هان حقه، وأمره عليه فأضاعه، وهان نهيه عليه فارتكبه وأصر عليه، وكيف يحسن الظن بربه من بارزه بالمحاربة، وعادى أولياءه، ووالى أعداءه،

وجحد صفات له، وأساء الظن بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، وظن بجهله أن ظاهر ذلك ضلال وكفر؟

وكيف يحسن الظن بمن يظن أنه لا يتكلم، ولا يأمر ولا ينهى، ولا يرضى ولا يغضب، وقد قال الله تعالى في حق من شك في تعلق سمعه ببعض الجزئيات، وهو السر من القول: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

فهؤلاء لما ظنوا أن الله سبحانه لا يعلم كثيراً مما يعلمون، كان هذا إساءة لظنهم بربهم، فأرداهم ذلك الظن.

وهذا شأن كل من جحد صفات كماله ونعوت جلاله، ووصفه بما لا يليق به، فإذا ظن هذا أنه يدخله الجنة كان هذا غروراً وخداعاً من نفسه، وتسويلاً من الشيطان، لا إحسانَ ظنٍ بربه.

بَابٌ: مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي اَلْقَدَرِ

وقال ابن عمر ﷺ: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله، ما قبله الله منه حتى يُؤمن بالقدر، ثم استدل بقول النبي ﷺ: ((**الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**)) رواه مسلم.[٣٩٤]

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أنه قال لابنه: يا بُني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطاك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا اكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**))؛يا بني: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**)).[٣٩٥]

وفي رواية لأحمد: ((**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)).[٣٩٦]

وفي رواية لابن وهب قال رسول الله ﷺ: ((**فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهُ وَشَرِّهُ، أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ**)).[٣٩٧]

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب فقلت: في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك، حتى تُؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار.

---

٣٩٤ . أخرجه مسلم (٨).

٣٩٥ . أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) وصححه الألباني.

٣٩٦ . أخرجه أحمد (٣١٧/٥)، والترمذي (٣٣١٩) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

٣٩٧ . ابن وهب في القدر (٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١١١) وصححه الألباني.

قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ. حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.[٣٩٨]

مقصود هذا الباب هو بيان أن إنكار القدر كفر ينافي أصل التوحيد، وأن من واجبات التوحيد الإيمان بالقدر خيره وشره.

والإيمان بالقدر، يتضمن الإيمان بمراتبه الأربعة، وهي:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم، أي: الإيمان بعلم الله السابق بالأشياء، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]

والثانية: مرتبة الكتابة، أي: أن الله كتب في اللوح المحفوظ جميع ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، كما قال ﷺ: ((**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا اكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**)).[٣٩٩]

والثالثة: مرتبة المشيئة، وهي عامة، ما من شيء في السموات والأرض إلا وهو كائنٌ بإرادة الله ومشيئته، فلا يكون في ملكه ما لا يريد أبداً، سواءً كان ذلك فيما يفعله بنفسه أو يفعله المخلوق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]

ومن الطرائف أن أعرابياً لجاء لعمرو بن عبيد -وكان عمرو يُنكر المشيئة- فقال له:إن ناقتي سُرقت فادع الله أن يردّها عليّ.

٣٩٨ . أخرجه أحمد (١٨٥/٥)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧) قال المنذري: وفي إسناده أبو سنان سعيد بن سنان, وثقه يحي بن معين وغيره, وتكلم فيه الإمام أحمد وغيره. والحديث صححه الألباني.

٣٩٩ . أخرجه أبو داود (٤٧٠٠).

فقال عمرو: اللهم إن ناقة هذا الفقير سُرقت، ولم تُرد سرقتها، اللهم أرددها عليه.

فقال الأعرابي: يا شيخ الآن ذهبت ناقتي وأيست منها.

قال: كيف؟

قال الأعرابي: لأنه إذا أراد أن لا تُسرق فسرقت، لم آمن أن يُريد رجوعها فلا ترجع؛ ونهض من عنده منصرفاً.[٤٠٠]

والرابعة: مرتبة الخلق، أي أن الأمور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢][٤٠١]

٤٠٠ . شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي (٨١٦/٢).

٤٠١ . انظر: القول السديد للسعدي (٤٢)، والقول المفيد للعثيمين (١٦٤/٣-١٦٥).

بَابٌ: مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ ليخلقوا شَعِيرَةً)) أخرجاه.[٤٠٢]

ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ)).[٤٠٣]

ولهما عن ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسً يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ)).[٤٠٤]

ولهما عنه مرفوعاً: ((مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ)).[٤٠٥]

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي، ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته.[٤٠٦]

مقصود هذا الباب التحذير من التصوير، لأن التصوير يقدح في التوحيد من وجهين:

---

٤٠٢ . أخرجه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).
٤٠٣ . أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٦).
٤٠٤ . أخرجه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).
٤٠٥ . أخرجه البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).
٤٠٦ . أخرجه مسلم (٩٦٩).

الأول: أن المصور جعل فعله نِداً لفعل الله تعالى، وهذا معنى قوله ﷺ: ((**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَة الَّذِينَ يُضَاهِئُون بِخَلْقِ اللَّه**)).

والثاني: أن التصوير وسيلةٌ من وسائل الشرك بالله تعالى.

وقد ذكر أهل العلم أن للتصوير ثلاث حالات:

- **الحالة الأولى**: تصوير الصنم والإله الذي يُعبد من دون الله تعالى، كصنم بوذا، وتمثال المسيح ومريم العذراء، فتصوير هذه الصور كفر أكبر.

- **والثانية**: زعم المصور أن تصويره للصور أحسنُ من خلق الله تعالى، فهذا أيضاً كفر أكبر.

- **والثالثة**: ماعدا هاتين الحالتين مما يُرسم، أو يُنحت فهذا من كبائر الذنوب، وفاعل هذا ملعون متوعد بنار جهنم والعياذ بالله تعالى.[٤٠٧]

٤٠٧ . انظر: التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ (٥٥٩–٥٦٠)

بَابٌ: مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ اَلْحَلِفِ

وقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ الآية.

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**)) أخرجاه.[٤٠٨]

وعن سلمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ بِضَاعَتَهُ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ**)) رواه الطبراني بسند صحيح.[٤٠٩]

وفي الصحيح عن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**، - قَالَ عِمْرَانُ فَلاَ أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا - **ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**)).[٤١٠]

وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: ((**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**)).

وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.[٤١١]

---

٤٠٨ . البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

٤٠٩ . الطبراني في الكبير (٦١١١)، وفي الصغير (٨٢١).

٤١٠ . أخرجه مسلم (٢٥٣٥).

٤١١ . أخرجه مسلم (٢٥٣٣).

مقصود هذا الباب النهي عن كثرة الحلف، وتأكيد هذا النهي بذكر الوعيد في حق من استهان بذلك، ومما ينبغي أن يعلمه المسلم أن كثرة الحلف لا تجتمع مع كمال التوحيد، وتحقيقه.

وفي حال من وقعت منه اليمين وحلف بالله تعالى، فإن الواجب عليه أن يحفظ يمينه كما أمر الله تعالى بذلك: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] وهذا الحفظ يكون: بحفظها ابتداءً، بعدم كثرة الحلف، وبحفظها وسطاً، بعدم الحنث إلا إذا كان خيراً، وبحفظها انتهاءً بإخراج الكفارة بعد الحِنث.[٤١٢] وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الآية.

٤١٢ . انظر : القول المفيد للشيخ العثيمين (٣/٢٢١).

بَابٌ: مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اَللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ

عن بريدة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: ((اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ، أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا)). رواه مسلم.[٤١٣]

مقصود هذا الباب بيان وجوب حفظ ذمة الله تعالى وذمة نبيه، فإن تعظيم الرب وتعظيم شرعه من أهم المقاصد الشرعية، كما أن الواجب على المسلمين البعد والحذر من الأحوال التي يُخشى منها نقض العهود والإخلال بها، بعدما يُجعل للأعداء المعاهدين

٤١٣ . مسلم (١٧٣١).

ذمة الله وذمة رسوله ﷺ، لأنه متى وقع النقض في هذه الحال كان انتهاكاً من المسلمين لذمة الله وذمة نبيه ﷺ وتركاً لتعظيم الله تعالى، وارتكاباً لأكبر المفسدتين كما نبه الرسول ﷺ، مع ما في ذلك من تهوين الإسلام وتزهيد الكفار به، فالوفاء بالعهد وحفظه من محاسن الإسلام التي تدعو الأعداء المنصفين إلى تفضيله واتباعه.[٤١٤]

٤١٤ . انظر: حاشية ابن قاسم (٣٨٢)، والتمهيد للشيخ صالح آل الشيخ (٥٦٧).

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ

عن جندب بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**)) رواه مسلم.[٤١٥]

وفي حديث أبي هريرة ﷺ: أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.[٤١٦]

مقصود هذا الباب التنبيه على وجوب التأدب مع الله تعالى في الأقوال والأفعال والأحوال، وأن الواجب على العبد أن يُعامل نفسه بأحكام العبودية، ويُعامل ربه بما يجب له من أحكام الربوبية، والإلهية.

وفي مخالفة ذلك قدحٌ للتوحيد، كمن حلف على الله تعالى على جهة الحجر عليه.[٤١٧]

والإقسام على الله تعالى له حالتان:

إحداهما: أن يكون الإقسام على جهة التكبر، والتجبر، والتألي، فالحجر على الله تعالى، والقطع بحصول المقسَم على حصوله، غير جائز، لأنه منافٍ لكمال التوحيد، منافٍ للأدب مع الله جل وعلا.

---

٤١٥ . مسلم (٢٦٢١).

٤١٦ . أخرجه أبو داود (٤٩٠١).

٤١٧ . انظر: حاشية ابن قاسم (٣٨٨).

والحالة الثانية: أن يكون الإقسام على جهة حُسن الظن بالله تعالى، فهذا لا بأس به، وهو معنى قول النبي ﷺ: ((**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ**)).[٤١٨]

٤١٨ . رواه البخاري (٢٧٠٣)، ومسلم (١٦٧٥).

بَابٌ: لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ

عن جبير بن مطعم ﷺ قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اللَّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((**سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ**)). فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ قَالَ : ((**وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟، إِنَّ شَأْنَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ**)) وذكر الحديث رواه أبو داود.[٤١٩]

مقصود هذا الباب تعظيم مقام الربوبية، وبيان أن الاستشفاع بالله تعالى على خلقه فيه سوء أدب في حق الله تعالى، والله عَزَّوَجَلَّ أعظم شأناً من أن يُتوسَّل به إلى خلقه، لأن مرتبة المتَوسَّل به غالباً دون مرتبة المتوسَّل إليه، وعليه فإن هضمَ مقام الربوبيةِ قدحٌ في توحيد العبد.[٤٢٠]

٤١٩ . أبو داود (٤٧٢٦)، والحديث استغربه الحافظ ابن كثير في التفسير (١/ ٣١٠)، وفي إسناده علتان: الأولى: عنعنة ابن إسحاق. والثانية: جهالة جبير بن محمد.

٤٢٠ . انظر: حاشية ابن قاسم (٣٩١)، وإعانة المستفيد للفوزان (٢/ ٤٢٩).

بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ اَلنَّبِيِّ ﷺ حِمَى اَلتَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ اَلشِّرْكِ

عن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: ((**السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**)) فَقُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: ((**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**)) رواه أبو داود بسند جيد.[٤٢١]

وعن أنس رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا، فقال: ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا تَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيَاطِينُ، أَنَا مُحَمَّدُ أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ**)) رواه النسائي بسند جيد.[٤٢٢]

مقصود هذا الباب بيان كيفية حماية النبي ﷺ التوحيد من جهة الأقوال، لأن تمام التوحيد لا يحصل للعبد إلا بالقيام بشروطه، وأركانه، ومكملاته، واجتناب نواقضه ومنقصاته، ظاهراً وباطناً، قولاً، وفعلاً، وإرادة واعتقاداً.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله في الباب الثاني والعشرين كيفية حماية النبي ﷺ لجناب التوحيد بسده كلَ الطرق الفعلية المفضية للشرك، وذلك بنهيه عن اتخاذ قبره ﷺ عيداً.

وعليه فإن النبي ﷺ حمى مقام التوحيد بسده كل الطرق القوليه والفعلية المفضية إلى الشرك بنوعيه الأصغر والأكبر.[٤٢٣]

٤٢١ . أخرجه أبو داود (٤٨٠٦).

٤٢٢ . أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٢٤٩)، وجود إسناده الحافظ ابن مفلح في الآداب (٣/٤٦٤).

٤٢٣ . انظر: التعليق المفيد للشيخ ابن باز (٢٧٩)، والقول المفيد للعثيمين (٣/٢٧٦).

بَابُ قول الله تعالى:
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية

عن ابن مسعود ﷺ قال: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية.

وفي رواية لمسلم: ((وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا اللَّهُ)).

وفي رواية للبخاري: ((يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ)). أخرجاه.[٤٢٤]

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: ((يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟)).[٤٢٥]

ورُوي عن ابن عباس ﷺ قال: ما السموات السبع، والأرضون السبع، في كف الرحمن، إلا كخردلة في يد أحدكم.[٤٢٦]

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد حدثني أبي قال:

٤٢٤ . أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).
٤٢٥ . أخرجه مسلم (٢٧٨٨).
٤٢٦ . أخرجه ابن جرير في التفسير (٥٧٩٥).

قال رسول الله ﷺ: ((مَا السَّمَوَاتُ الْسَّبْعِ فِي الْكُرْسِي إِلاَّ كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ)).[٤٢٧]

قال: قال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ، إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلاةٍ مِنَ الْأَرْضِ)).[٤٢٨]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله

ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله.[٤٢٩] قاله الحافظ الذهبي رحمه الله، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟)) قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ)) أخرجه أبو داود وغيره.[٤٣٠]

---

٤٢٧ . أخرجه ابن جرير في التفسير (٥٧٩٤).

٤٢٨ . أخرجه ابن جرير في التفسير (٥٧٩٤).

٤٢٩ . أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٥٩٤) قال الشيخ ابن باز في التعليق المفيد (٢٨٤): حديث ابن مسعود حديث صحيح جيد.

٤٣٠ . أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣١٧) وقال: حديث حسن غريب، قال الشيخ ابن باز في التعليق (٢٨٤): وإن كان في سنده انقطاع لكنه ينجبر.

ختم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه بهذا الباب، ومقصوده ذكر النصوص الدالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه، ومجده وجلاله، وخضوع المخلوقات بأسرها لعِزِه، لأن هذه النعوت العظيمة، والأوصاف الكاملة أكبرُ الأدلة والبراهين على أنه المعبود وحده، المحمود وحده، الذي يجب أن يبذل له غاية الذل والتعظيم، وغاية الحب والتأله، وأنه الحق وما سواه باطل. وهذا حقيقة التوحيد ولبه وروحه، وسر الإخلاص فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته، والإنابة إليه؛ إنه جواد كريم.[٤٣١]

وكأن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يُشير إلى أن الموحد كلما كان عارفاً بالله تعالى وبما له من الأسماء والصفات، كلما كمُل توحيده لربه جل وعلا.

فنجد أن المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ قد بيّن كيف يُعظم الله جل وعلا؟

وذلك بطريقين:

أولاً: بالعلم بما لله من الصفات العظيمة، لأنه لا يُمكن أن تستقر للعبد قدم في المعرفة، بل ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب جَلَّ جَلَالُهُ، ويعرفها معرفة تخرجه عن حدّ الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتَعرُّفها: هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فضلاً عن أن يكون من أهل العرفان.[٤٣٢]

ثانياً: بالتفكر بمخلوقات الله العظيمة التي تدل على بديع صنعه، وإتقانه، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، وقال أيضاً: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ

٤٣١ . القول السديد للسعدي (٤٥).

٤٣٢ . مدارج السالكين للإمام ابن القيم (٣/٣٢٤).

عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: ١٠]

والنبي ﷺ كان يحث على التفكر والتدبر فيقول: ((**تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ**)).[٤٣٣]

قال ابن الأثير: (الآلاء) النعم، واحدها ألاً بالفتح والقصر، وقد تكسر الهمزة.[٤٣٤]

٤٣٣ . حسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٧٥).

٤٣٤ . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٥٣).

خَاتِمَةٌ

وأحببت أن أختم الكلام على هذا الكتاب النافع المبارك بما ذكره العلامة السعدي في مقدمة كلامه على كتاب التوحيد حيث قال رحمه الله:

صفوة عقيدة أهل السنة وخلاصتها المستمدة من الكتاب والسنة وذلك أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فيشهدون أن الله هو الرب الإله المعبود، المتفرد بكل كمال، فيعبدونه وحده، مخلصين له الدين، فيقولون إن الله هو الخالق البارئ المصور الرازق المعطي المانع المدبر لجميع الأمور، وأنه المألوه المعبود الموحد المقصود، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء، وأنه العلي الأعلى بكل معنى واعتبار، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، وأنه على العرش استوى، استواء يليق بعظمته وجلاله، ومع علوه المطلق وفوقيته، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن، والعالم العلوي والسفلي، وهو مع العباد بعلمه، يعلم جميع أحوالهم، وهو القريب المجيب، وأنه الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، والكل إليه مفتقرون في إيجادهم وإيجاد ما يحتاجون إليه في جميع الأوقات، ولا غنى لأحدٍ عنه طرفة عين، وهو الرحمن الرحيم، الذي ما بالعباد من نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة إلا من الله، فهو الجالب للنعم، الدافع للنقم، ومن رحمته أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا يستعرض حاجات العباد حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، حتى يطلع الفجر. فهو ينزل كما يشاء، ويفعل ما يريد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ويعتقدون أنه الحكيم، الذي له الحكمة التامة في شرعه وفي قدره، فما خلق

شيئاً عبثاً، ولا شرع الشرائع إلا للمصالح والحكم، وأنه التواب العفو الغفور، يقبل التوبة من عباده، ويعفو عن السيئات ويغفر الذنوب العظيمة للتائبين والمستغفرين والمنيبين، وهو الشكور الذي يشكر القليل من العمل، ويزيد الشاكرين من فضله.

ويصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من الصفات الذاتية، كالحياة الكاملة، والسمع والبصر، وكمال القدرة، والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق، ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته كالرحمة والرضا، والسخط والكلام، وأنه يتكلم بما يشاء، كيف يشاء، وكلماته لا تنفد، ولا تبيد، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأنه لم يزل ولا يزال موصوفاً بأنه يفعل ما يريد ويتكلم بما يشاء، ويحكم على عباده بأحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية، فهو الحاكم المالك، ومن سواه مملوك محكوم عليه، فلا خروج للعباد عن ملكه ولا عن حكمه.

ويؤمنون بما جاء به الكتاب، وتواترت به السنة، أن المؤمنين يرون ربهم تعالى عياناً جهرةً، وأن نعيم رؤيته والفوز برضوانه أكبر النعيم وألذه، وأن من مات على غير الإيمان والتوحيد فهو مخلد في نار جهنم أبداً، وأن أرباب الكبائر إذا ماتوا على غير توبة ولا حصل لهم مكفر لذنوبهم ولا شفاعة، فإنهم وإن دخلوا النار لا يخلدون فيها، ولا يبقى في النار أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان إلا خرج منها ، وأن الإيمان يشمل عقائد القلوب وأعمالها، وأعمال الجوارح وأقوال اللسان ، فمن قام بها على الوجه الأكمل فهو المؤمن حقاً، الذي استحق الثواب وسلم من العقاب، ومن انتقص منها شيئاً نقص من إيمانه بقدر ذلك، ولذلك كان الإيمان يزيد بالطاعة وفعل الخير، وينقص بالمعصية والشر.

ومن أصولهم السعي والجد فيما ينفع من أمور الدين والدنيا مع الاستعانة بالله، فهم يحرصون على ما ينفعهم ويستعينون بالله، وكذلك يحققون الإخلاص لله في جميع حركاتهم، ويتبعون رسول الله ﷺ، فالإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول، والنصيحة للمؤمنين طريقهم.

ويشهدون أن محمدا عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو خاتم النبيين، أُرسل إلى الإنس والجن بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أرسله بصلاح الدين وصلاح الدنيا، وليقوم الخلق بعبادة الله، ويستعينوا برزقه على ذلك. ويعلمون أنه أعلم الخلق وأصدقهم وأنصحهم، وأعظمهم بياناً، فيطيعونه ويحبونه، ويقدمون محبته على محبة الخلق كلهم، ويتبعونه في أصول دينهم وفروعه، ويقدمون قوله وهديه على قول كل أحد وهديه، ويعتقدون أن الله جمع له من الفضائل والخصائص والكمالات ما لم يجمعه لأحد، فهو أعلى الخلق مقاماً ، وأعظمهم جاهاً، وأكملهم في كل فضيلة،لم يبقَ خيرٌ إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرهم عنه. وكذلك يؤمنون بكل كتاب أنزله الله، وكل رسول أرسله الله، لا يفرقون بين أحد من رسله.

ويؤمنون بالقدر كله، وأن جميع أعمال العباد خيرها وشرها قد أحاط بها علم الله، وجرى بها قلمه، ونفذت فيها مشيئته، وتعلقت بها حكمته، حيث خلق للعباد قدرة وإرادة، تقع بها أقوالهم وأفعالهم بحسب مشيئتهم، لم يجبرهم على شيء منها، بل جعلهم مختارين لها، وخص المؤمنين بأن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين بفضله ونعمته، وولى غيرهم ما تولوه ورضوه لأنفسهم من الكفر والفسوق والعصيان بعدله وحكمته.

ومن أصول أهل السنة أنهم يدينون بالنصيحة لله ولكتابه ورسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران والمماليك والمعاملين، ومن له حق، وبالإحسان إلى الخلق أجمعين.

ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها، وينهون عن مساوئ الأخلاق وأرذلها، ويعتقدون أن أكمل المؤمنين إيماناً، أعظمهم إيماناً ويقيناً، وأحسنهم أعمالاً وأخلاقاً، وأصدقهم أقوالاً، وأهداهم إلى كل خير وفضيلة، وأبعدهم من كل رذيلة. ويأمرون بالقيام بشرائع الدين،

على ما جاء عن نبيهم فيها وفي صفاتها ومكملاتها، والتحذير عن مفسداتها ومنقصاتها، ويرون الجهاد في سبيل الله ماض مع البر والفاجر، وأنه ذروة سنام الدين، جهاد العلم والحجة، وجهاد السلاح، وأنه فرض على كل مسلم أن يدافع عن الدين بكل ممكن ومستطاع.

ومن أصولهم الحث على جمع كلمة المسلمين، والسعي في تقريب قلوبهم وتأليفها، والتحذير من التفرق والتعادي والتباغض، والعمل بكل وسيلة توصل إلى هذا.

ومن أصولهم النهي عن أذية الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم، والأمر بالعدل والإنصاف في جميع المعاملات، والندب إلى الإحسان والفضل فيها. ويؤمنون بأن أفضل الأمم أمة محمد ﷺ وأفضلهم أصحاب رسول الله ﷺ، خصوصاً الخلفاء الراشدون، والعشرة المشهود لهم بالجنة، وأهل بدر، وبيعة الرضوان والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، فيحبون الصحابة ويدينون الله بذلك، وينشرون محاسنهم ويسكتون عما قيل عن مساوئهم، ويدينون الله باحترام العلماء الهداة وأئمة العدل ومن لهم المقامات العالية في الدين والفضل المتنوع على المسلمين، ويسألون الله أن يعيذهم من الشك والشرك والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وأن يثبتهم على دين نبيهم إلى الممات. فهذه الأصول الكلية بها يؤمنون ولها يعتقدون وإليها يدعون.اهـ[٤٣٥]

تم المقصود من التعليق على هذا الكتاب المبارك

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

٤٣٥ . القول السديد للسعدي (٢-٥).

الفهرس

التَّقريب لِمَقاصِد كِتاب التَّوحيد ٥
كِتَابُ التَّوْحِيدِ ٦
بَابُ فَضْلُ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ ١١
بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٩
بَابُ اَلْخَوْفِ مِنْ اَلشِّرْكِ ٢٥
بَابُ: اَلدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ٣٢
بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه ٣٥
بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الْحَلْقَة وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ ٣٧
بَابُ: مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِم ٤٨
بَابُ: مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا ٥٥
بَابُ: مَا جَاءَ فِي اَلذَّبْحِ لِغَيْرِ اَللَّهِ ٥٨
بَابُ: لاَ يُذبَحُ لِلَّهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ٦٤
بَابٌ: مِنْ اَلشِّرْكِ اَلنَّذْرُ لِغَيْرِ اَللَّهِ ٦٦
بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ الله ٦٨
بَابٌ: مِنْ اَلشِّرْكِ أَنَّ يَسْتَغِيثُ بِغَيْرِ اَللَّهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ ٧١
بَابُ قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ٧٥
بَابُ قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ ٧٧
بَابُ اَلشَّفَاعَة ٧٩
بَابُ قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ٨٤
بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ ٨٧
بَابُ: مَا جَاءَ مِنْ اَلتَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اَللَّهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ ؟! ٩١
بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ اَلْغُلُوَّ فِي قُبُورِ اَلصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اَللَّهِ ٩٦
بَابُ: مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ اَلْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ اَلتَّوْحِيدِ ٩٨

وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ ٩٨
بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ ١٠٠
بَابُ: مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ ١٠٣
بَابُ: بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ ١٠٧
بَابُ: مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ ١١١
بَابُ: مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ ١١٦
بَابُ: مُا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ ١١٩
بَابُ: مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ ١٢٧
بَابُ: مَا جَاءَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ ١٣٠
بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً﴾ الآية ١٣٢
بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ ١٤٠
بَابُ قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٤٣
بَابُ قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ١٤٨
بَابٌ: مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ ١٥١
بَابٌ: مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ ١٥٥
بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا ١٥٨
من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله ١٥٩
أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا ١٥٩
بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآيات ١٦٢
بَابُ: مَا جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ١٦٥
بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ ١٦٧
بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١٧٠
بَابٌ: مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللَّهِ ١٧٢
بَابٌ: قَوْلُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ ١٧٣
بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ ١٧٥

بَابٌ: التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ ١٧٨
بَابٌ: اِحْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الاِسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ ١٨٠
بَابٌ: مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ ١٨١
بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ الآية ١٨٣
بَابُ قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ الآية ١٨٦
بَابُ قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الآية ١٩٠
بَابٌ لَا يُقَالُ: اَلسَّلَامُ عَلَى اَللَّهِ ١٩٤
بَابٌ قَوْلُ: اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ١٩٥
بَابٌ لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي ١٩٦
بَابٌ: لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاَللَّهِ ١٩٨
بَابٌ: لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اَللَّهِ إِلَّا اَلْجَنَّةُ ١٩٩
بَابٌ: مَا جَاءَ فِي اَللَّوْ ٢٠١
بَابٌ: اَلنَّهْيُ عَنْ سَبِّ اَلرِّيحِ ٢٠٣
بَابُ قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الآية ٢٠٤
بَابٌ: مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي اَلْقَدَرِ ٢٠٧
بَابٌ: مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ ٢١٠
بَابٌ: مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ اَلْحَلِفِ ٢١٢
بَابٌ: مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اَللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ٢١٤
بَابٌ: مَا جَاءَ فِي الاِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ ٢١٦
بَابٌ: لَا يُسْتَشْفَعُ بِاَللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ٢١٨
بَابٌ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ اَلنَّبِيِّ ﷺ حِمَى اَلتَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ اَلشِّرْكِ ٢١٩
بَابُ قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية .. ٢٢٠
خَاتِمَةٌ ٢٢٤